

الخطوط العامة في تطور الشعر العربي

من الجاهلية حتى العصر العباسي

داود سلوم

١ - الشعراء الجاهليون :

يعتبر الاغاني من المراجع الرئيسة في دراسة الشعر العربي الذي انتهى الى زمن المؤلف ابي الفرج الاصفهاني واعتمدنا عليه هنا اعتمادا كلياً في استنباط هذه الخطوط العامة .

وقد انفرد ابو الفرج الاصفهاني بذكر خلاصة يضعها امام ترجمة الشاعر بعد ان يذكر نسبه ثم يتجه الى الروايات التي تؤكد الخلاصة وتوضحها وهذه الخلاصة هي موجز رأيه في المترجم له وما صحح عنده من الرأي وعلى ذلك فما ورد في هذه الخلاصة من احكام هي خير ممثل للشاعر او منزلته او دوره في الحياة وانها تمثل ما يستنتج الباحث التالي لابي الفرج من آراء او وجهات نظر في العصر الذي يؤرخ له .

أ - دواعي الشعر في الجاهلية :

ومن خلاصة ما ترجم للشعراء الجاهليين يبدو ان ابا الفرج الاصفهاني يؤكد على سببين مهمين يبعثان على قول الشعر وهما : الحرب والحب . والظاهر ان اقتران الشعر بالحرب سببه ما يجيش في نفس المحارب من فخر ونجدة وبأس او احتقار للاعداء والذي يبدو ان الرجل يكون فارساً أولاً قبل ان يكون شاعراً وعلى هذا فان اغلب الفرسان هم من الشعراء وليس اغلب الشعراء هم من الفرسان وان الشاعر يقدمه اهلوه اذا كان شجاعاً بالاضافة الى شاعريته وان الشعر وحده لا يؤهل صاحبه لقيادة القبيلة وهذا يفسر لنا نفرة العوائل المالكة في الجزيرة من قول ابنائها الشعر كما نرى ذلك من سيرة امرئ القيس .

وان الشعر كما يبدو في فترة طويلة من تاريخه كان يقال للحرب والحب فقط ولم يستخدم الشعر للاثابة والربح الا في فترة متأخرة وقد زعم العرب ان اول من تكسب بشعره انما هو الاعشى^(١) !

ب - نشاط المديح :

لا شك ان الشعراء بدأوا يكسبون بالشعر في الوقت الذي بدأت فيه السلطات تتركز وحين ظهرت الدويلات العربية ففي القصص القديم ان الشعراء قصدوا سيف ابن ذي يزن مهتين وانه اكرم شعراءهم وظهرت امثال هذه الوفادات على المناذرة والغساسنة فقد كان النابغة جليس النعمان وشاعره وقصد المناذرة طرفة والمتلمس وان قصة الجائزة والصحيفة التي قتل بسببها طرفة معروفة • وان حسان كان يفد كما يذكر التاريخ على الغساسنة وانهم ارسلوا له جائزة في الاسلام حين وفد وافد المسلمين الى القسطنطينية وقال حسان لعمر في المسجد : اني اشم عندك روائح آل جفنة !

واثر في الشعر الجاهلي الحب والغزل ودفعته حرية المرأة الجاهلية في علاقتها بالرجال فهي اكثر حرية من اختها المتزمتة في الاسلام • فقد كان يباح لها من الصلات ما لا يباح للمرأة المسلمة وكان تطلق الرجل^(٢) كما ان طرق تملكها بالقوة وسبائها ونهبها كانت طريقة سائدة متبعة وهي بذاتها المسؤولة عن وأد البنات لسلوكها بين المحافظين منهم كما يبدو •

ج - الشعراء من غير العرب :

وفي العصر الجاهلي كان الشعر اكثر شيوعاً بين غير العرب كاليهود وبين العرب من اصحاب الديانات المختلفة كما انه كان شائعاً بين عبيدهم على كثرة لأن الوثنية تتسع لكل هؤلاء ولم يتسع الاسلام لاصحاب الديانات الاخرى وقد ابعدهم الاسلام وعزلهم وكانت اللغة في الجاهلية منحصرة في جزيرتها وهي لغة القوم كلهم على اختلاف الامر فاصبحت اللغة العربية لغة القرآن والدين وفساد ألسن اهل الحواضر في الجزيرة انقطعت صلاتهم باللغة وماتت البواعث التي كانوا يقولون فيها الشعر • فلم يعد اليهود يغزون احداً ولم يبح لهم الغزل اذا كان في غير نساء اليهود وقتل بعض الشعراء او العشاق من اليهود الذين ضبطوا مع نساء

عربيات كان أزواجهن في الفتوح ولم تبق في تغلب المسيحية الا صُباة رأيناها في
الاخطل وبعض الشعراء المخضرمين من المسيحيين وما كان العصر الاموي ينتهي حتى
اختفى الشعراء النصارى من الافق الادبي ولم يبق منهم الا نماذج احصوا في كتاب
« شعراء النصرانية في الاسلام » لشيخو .

٢ - الشعراء المخضرمون :

في هذه الفترة قلّ الشعر قلة ملاحظة واعطى الاقدمون عللا لا قيمة لها فانهم
حدثونا عن اثر القرآن الكريم عليهم في قوة بيانه فالجم شعراءهم واخافهم لفخامة
اسلوبه وعظمة بيانه وهذا قول اعتباطي لا قيمة له لاننا لو نظرنا الى ادب النثر المعاصر
لهذه الفترة لرأينا ان القرآن قد اغنى تعابيرهم واعطاهم مادة جديدة ووسع في
مفردات اللغة وهيا لهم افكاراً وموضوعات لم يحلموا بها وفتح لهم آفاقاً واسعة
اخرى .

الا ان السبب الحقيقي ان كافة الجيل المعاصر لهذه الفترة اعدّ للتغير العام
واستخدم في الفتوح وكان العرب قد انشغلوا بهذا الشاغل الجديد عن رواية ونقل
الاشعار وقد كادوا ان ينشغلوا عن القرآن نفسه وان يختلفوا في آياته لولا ان
أسرعت الدولة الى تأليف لجنة رسمية في زمن عثمان وثبتت النص على صيغة واحدة
ما اختلف المسلمون بعدها عليها . والذي يلاحظ ان اكثر الشعر الذي بقي من
شعر هذه الفترة انما هو شعر اولاد العوائل الراقية المتنفذة التي كانت تسود في
الجاهلية على اساس النفوذ الاجتماعي والمالي الذي تملكه ورغم ان الاسلام اراد ان
يستفيد من كافة العناصر الا ان الرسول اضطر لاسباب عدة ان يستخدم او يكرم
او يؤلف قلوب طبقة كبيرة من المتنفذين واصحاب السلطان وهو قد ابقى الى حد
ما القديم على قدمه فقد كتب الكتب لرؤساء الوفود الوثنية فرجعت هذه الوفود مسلمة
على رأسها نفس الرؤساء الذين كانوا يحكمون قومهم في الجاهلية ولذلك لم تتأثر
مصالح هذه الطبقات من قليل او بعيد وانما زادها دخولهم في الاسلام رسوخاً .

وحين ولي عمر قويت فكرة دولة العرب للعرب ولذلك فقد كان كل قاده
عربا واغلبهم من قریش وكذلك ولاته وقضاته الا ما ندر . . . وضاق هذا التفضيل
في زمن عثمان حتى أصبح عائليا الى حد ما . وبعد ان توسع الاسلام وانتشر عاد

الامويون فحسروه في العرب لسعة الرقعة واخرجت العناصر غير العربية من الحكم
الى حد بعيد

وقد وردت فلتات من شعر الطبقات الدنيا من شعر الجنود من ابناء العوائل
المسلمة الذين لا يملكون المجد الجاهلي يعلنون هذا الغضب وهذه الثورة على قريش
بشكل خاص وبدأوا يشعرون انهم لا يحاربون للاسلام وانما لاشباع نهم رجالات
قريش من القواد والامراء والجبابة قال شاعر من المخضرمين في الحماسة :

وان امرأ يعطي الاسنة نحره وراء قريش لا اعد له عقلا
يذمون لي الدنيا وقد ذهبوا بها فما تركوا فيها الملتبس ثعلا

وقال آخر يتهم سعد بن ابي وقاص بانه لا يعرض نفسه للموت وانما يتمسك
بالامارة ويتنعم بها :

نقاتل حتى انزل الله نصره وسعد بباب القادسية معصم
فابنا وقد آمت نساء كثيرة ونسوة سعد ليس فيهن أيم

وقال عمرو بن معد يكرب رغم جرأته في مطالبة عمر بزيادة عطائه :
اذا قتلنا فلا يبكي لنا احد قالت قريش : أجل تلك المقادير
نعطى السوية من طعن له نفذ ولا سوية اذ تعطى الدنانير !
وقال نافع بن الاسود التميمي :

ولما اتى الاسلام كانوا ائمة وبادوا معداً كلها بالجرائم !

وكتب يزيد بن الصقع الى عمر يخبره عن سلوك جباته :
نؤوب اذا أبوا ونغزوا اذا غزوا فاني لهم وفر ولسنا ذوى وفر

وامتد هذا الاحتجاج على هذا السلوك وظهر في العصر الاموي ايضا على
لسان شعراء القبائل التي حرم ابناءؤها السلطة والمجد فقال جواس بن القعطل
الكلبي :

صبغت اميه بالدماء رماحنا وطوت اميه دوننا دنياها

اسباب ضياع الشعر أو قلته : -

فلبعد الرقعة وكثرة القتل الذي وقع في الجيوش العربية وانشغال الناس بغير أمور الشعر تشتت نصوص كثيرة من هذا الشعر وتوزع ما بقي منه في بطون كتب التاريخ تحت عناوين المعارك وامن الشعراء من الرؤساء واولادهم الذين اقاموا في المراكز والامصار على شعرهم من الضياع وكذلك اولئك الذين لهم علاقة ما بالسلطة المركزية لطبيعة التاريخ الثيوقراطية عند المسلمين •

ومن الاسباب التي اضعفت هذا الشعر ان كثيرا من دواعيه حاربها الخلفاء المتزمتون • فقد نهى عمر عن رواية شعر كثير قيل في خصومة قريش في كفرها مع الاسلام ونهى الرسول عن رواية بعض القصائد الاخرى التي هجى فيها المسلمون واصبح الشعراء كذلك يعاقبون اذا نظموا الشعر فيما يحرمه الاسلام كشرب الخمر او القمار او ما شابه فما قيل من هذا الشعر ا طرح للاسباب المذكورة آنفاً • وانصرف كثير من الشعراء عن طرق هذه الموضوعات خوف العقاب فأعقبهم طول السكوت الانصراف عن قول الشعر • فقد انصرف لبيد العامري مختاراً عن الشعر الى التأمل في القرآن • وقد يضطر الشاعر على القول رغم الخوف وقد سجل ذلك النعمان بن عدي بن نظلة وكان والي عمر على ميسان :

الاهل اتى الحسناء ان حليلها	بميسان يسقى من زجاج وحتم
اذا شئت غنتي دهاقين قرية	وصنّاجة تجثو على حرف ميسم
فان كنت ندماني فبالاكبر اسقني	ولا تسقني بالاصغر المشلم
لعل أمير المؤمنين يسوءه	تنادمنا بالجوسق المتهم

وفي هذه الفترة عزلت اديان اخرى عن المشاركة الثقافية لانعدام الدوافع التي تدفعهم الى نظم الشعر ولاعتبارهم في الحكم الجديد مواطنين ليس لهم نفس الامتيازات التي للمواطن المسلم ونريد بذلك بصورة خاصة ادب الشعراء اليهود ومما ساعد على ذلك شعور اليهود بغربتهم في الجزيرة ويهود الجزيرة كما تؤكد كتب الانساب لم يكونوا عربا وانما هم غرباء عن الجزيرة واستخدمهم النظام الجديد كعمال وفلاحين واطباء وصيادلة وما شاكل وابعدهم بذلك عن الفن ودائرتهم ولم

يلتفت الرواة صوبهم بعد الاسلام فلم يسجلوا ما نظموا الا ما ورد لعلاقته بحادثة او قضية ترتبط بالدولة ودينها ورعيتهما فبعد ان سجل صاحب الاغاني اسماء عدة شعراء يهود في الجاهلية كغريض اليهودي والسمؤل بن عاديا وسعية بن غريض والربيع بن ابي الحقيق واوس بن ذبي القرظي^(٣) لا يظهر اسم شاعر يهودي بين اسماء شعراء المخضرمين واستمر الشعراء المسيحيون من العرب يشاركون اخوانهم مشاركة غير فعالة في ادبهم في هذه الفترة ولم يكن دورهم الادبي فعالاً او ذا قيمة •

٣ - الشعراء الامويون :

أ - البيئة الجديدة :

استقر المسلمون والعرب بعد الفتح وبعد تأسيس المدن في الامصار الجديدة وأصبحت المدينة هي التي تمثل المجتمع العربي الجديد ولم تعد البادية تمثل طابع الامة الجديدة المتحضرة •

فالمدينة او الكوفة او البصرة او دمشق اصبحت ترسم السياسة وتوجه الفقه ومنها تندفع الجيوش وفيها تحفظ الدواوين وتعطى الاعطيات وفي هذه المدن استقر أهل الفكر والقادة والرؤساء والصحابة والقراء والشعراء وأصبحت أهمية الشاعر البدوي ثانوية لانه بعيد عن الحوادث ومشاكل المجتمع الجديد فحرث بن عتاب مثلاً : « ليس بذكر في الشعراء لانه كان بدويًا »^(٤) واصبحت اسماؤهم نادرة لا ترد الا في فترات متباعدة مثل تويث اليمامي^(٥) ومن شابه •

ب - شخصية الشاعر الاموي :

وان الفترة التي مضت بين تمصير هذه البلدان والعصر الاموي هيأت نشوء جيل من الشعراء ولم يكن الشاعر الاموي يشابه الشاعر الجاهلي او الشاعر المخضرم الذي كانت حياته امتدادا لحياة زميله الشاعر الجاهلي •

فالشاعر الجاهلي كان يكسب قوته من الرعي او الغزو او الزراعة كما في الحواضر في الجزيرة العربية كالمدينة او اليمامة او من التجارة كما في مكة وكان بعضهم قادة عشائرهم وفرسانها فالشجاعة كانت الصفة المميزة لشاعر الجاهلية

والشاعر المخضرم وكان اسمه يرد في المعارك والغزوا أكثر مما يرد في أي مجال آخر .

أما الجيل الأموي فإنهم شعراء نشأوا في المدن الإسلامية الجديدة وفتحوا عيونهم على حياة مختلفة فيها النظام والقانون وفيها المسجد - المدرسة الكبرى في المجتمع الإسلامي - فظهر الشعراء الذين درسوا العلم أو الفقه أو الأدب فهناك أبو الأسود الدؤلي النحوي^(٦) وهو شاعر أيضاً واشتغل شريح قاضياً^(٧) وهو شاعر أيضاً وقد عمل الشاعر في حقول أخرى فقد كانوا ندماء ومستشارين للأمراء في الأمصار وأصحاب آراء سياسية وكانت هناك جماعة من الشعراء بقيت تمثل اتجاه الصعاليك الجاهليين في الأمصار الإسلامية ولما كانت طريقة عيش الصعاليك كنظام قد انتهت منذ زمن بعيد وأصبح القانون يلاحق الخارج عليه فقد اتجه هؤلاء الشعراء إلى توسيع فن المدح والاسراف فيه واتخاذهم مصدراً ثابتاً من مصادر العيش وهؤلاء هم الذين يكونون غالبية الشعراء الرسميين وهم شعراء يخدمون السلطة كفكرة مهما كانت هذه السلطة كالفرزدق وجريز وكثير والاخلط وكانوا يفيدون أيضاً من اثرياء المجتمع الإسلامي الذين زاد عددهم زيادة كبيرة وتركزوا في الأمصار القديمة والجديدة ولظهور الحركة التعليمية وتشجيع الإسلام للعلم ولانصراف عدد كبير من المسلمين إلى قراءة القرآن والاهتمام بلغته ومقارنته بكلام العرب فقد بدأ النحو ينشأ في البصرة والكوفة وبدأ الرواة الذين يجمعون اللغة والأدب يجمعون ما يقعون عليه يهأون المادة للدارسين فنشأ علم العروض ونظرات في النقد والتذوق . ولكن الملاحظ أن الفترة هذه لم تقصد بقوانينها الفنية هذه إلا التسجيل والحفظ للغة ولم يقصد بها التعليم بذاته لأن المجتمع العربي لا زال سليماً في لغته فالفرزدق مثلاً كان ينظم هذا الشعر الجيد الشديد الأسر وهو لا يقرأ ولا يكتب ومع ذلك فهو يقول لأهل النحو : علينا أن نقول وعليكم أن تعربوا . وإذا قصد هؤلاء فيما جمعوا إلى التعليم فإنما هو للناشئة من غير العرب أو لأولاد العرب الذين فسدت لغتهم لانقطاعهم كلياً عن التأثير البدوي عليهم .

ولتيسر المعرفة بالنسبة لناشئة غير العرب فسرعان ما رأينا نجوم شعراء من أصول غير عربية تبرز في المجتمع الجديد تكتب بلغة العرب وتصل بآدابها إلى مستوى

لأثق مثل اسماعيل بن يسار الشاعر العجمي^(٨) .

ج - الخلافات السياسية :

وظهرت في هذا المجتمع الجديد المتحضر خلافات فكرية وسياسية واتجاهات في العواطف على اساس غير الاساس القبلي القديم فقد بدأت الاحزاب تتشكل على أساس العقيدة فهناك احزاب سياسية كالعثمانية والترابية والزيرية والخوارج وهناك افكار فلسفية بسيطة اخذت تتشكل كالقدرية والجبرية وبدأ الفكر العربي والاسلامي يتعرض لتيارات جديدة ومفاهيم غريبة لم يكن يألفها أصلاً

وتبعاً لهذا انقسم الشعراء ايضاً وراء هذه الاتجاهات المختلفة .

فمن شعراء الامويين : ابو العباس الاعمى^(٩) وعبدالله بن الزبير الاسدي^(١٠) .

ومن المروانيين : عبدالله بن خارجة الاعشى « كان مرواني المذهب »^(١١) .

ومن شعراء الخوارج : عمران بن حطان والطرماح بن حكيم^(١٢) .

ومن شعراء الشيعة : الكميت وابو الطفيل الغنوي^(١٣) .

ومن شعراء الزيرية : عبدالله بن قيس الرقيات^(١٤) .

ومن شعراء المرجئه : ثابت قطنة ، وغيرهم كثير .

د - تطور الرجز :

وقويت في هذا العصر بعض الفنون الشعرية التي لم يكن نطاق استعمالها كثيراً

جداً في الأزمان القديمة .

فبعد ان كان الرجز فناً لا ينظم فيه الشعراء بكثرة في الجاهلية وكان ادباً من أدب المعارك في الغالب فان ضخامة المعارك الاسلامية وعدد الجيوش الضخم وكثرة الفرسان في معارك ضخمة كبيرة جعلت من الرجز اللحن العسكري المفضل الذي يتغنى به الفارس فالقعقاع كان في الحملة يرتجز وهو يدفع باصحابه الى الحرب مرددا رجزه لآثارة حماسهم ونشاطهم .

وفي العصر الاموي وكأي فن من فنون الشعر الذي اصابه التطور كالغزل والهجاء فقد أصاب فن الرجز التطور ايضاً وظهر الشعراء الذين قصدوا الرجز وجعلوه بحراً لا ينظم فيه الشاعر البيت او البيتين في المعركة وانما جعلوه بحراً تنظم فيه القصائد والدواوين .

وظهر الاغلب العجلي الذي قيل عنه انه : « اول من رجز الاراجيز الطوال في العرب »^(١٥) ومثله ابو النجم وقد خلفا وراءهما عددا ضخما من الاراجيز .

هـ - نشاط الهجاء :

وفي العصر الاموي ولاسباب سياسية واجتماعية ولغرض تسلية المجتمع العربي في وسيلة من وسائل الاعلام المهمة آنذاك نشط الهجاء نشاطاً ملحوظاً وادى ذلك الى نشوء فكرة « المناقضات » واشتهر في هذا الفن جرير والفرزدق وان كانت المدرسة تمثل عدداً ضخماً من الشعراء الذين اشتركوا في هذا العرض الهائل من الحرب الصورية التي كانت القبائل تتراشق فيها بالكلمات عوضاً عن السهام وتغزو بعضها بعضاً بالقصائد وتنهب سمعة بعضها بعضاً بابيات الشعر ومن هذه المدرسة : غسان بن ذهيل والبيث والاخلط وعمر بن لجأ وسراقة البارقي والبلتّع وراعي الابل التميمي والعباس بن يزيد الكندي وجفنة الهمداني والمرار بن منقذ وحكيم بن مقبّة ونور بن الاشهب النهسلي والدّلهَمَس (١٦) وغيرهم كثير .

والدليل القاطع على ان هذا الهجاء لم يكن الا غزواً سوريا وحرب كلمات كثرة المراقبة بين جرير والفرزدق في صحبة الخلفاء والامراء ومحاورتهم ومجالستهم وتحريض الخلفاء والامراء بعضهم على بعض لغرض اثارتهم كي يتسلى أمير المؤمنين أو الوالي وكل يعرف ان جريراً رثى الفرزدق بعدموته وافقده !

و - التحلل الاخلاقي :

وكرر فعل على السلوك الاسلامي المتزمت في العقود الاربعة الاولى ولتسلط خلفاء اشداء على الشعراء ومراقبة سيرهم فقد اندفع الشعراء في العصر الاموي نحو التحلل السريع من الالتزامات الاسلامية وبشكل خاص مسألة « الخمرة » والتسيب الخلقي خاصة وان مركز الخلافة اصبح بعيداً عن الامصار وان ولاية الامصار لم يكونوا متحمسين لمراقبة هذه المسألة مراقبة جادة فعالة .

فقد كثرت اسماء الشعراء المتحللين المعاقرين للخمرة في عصر الامويين كثرة فاحشة اذا ما قورن ذلك بالشعراء المخضرمين الذين اظلمت خلافة الراشدين .
فهناك منهم :

الاقشير^(١٧) وعمار ذي كبار^(١٨) وبكر بن خارجة^(١٩) وحمزة بن
بيض^(٢٠) والشمردل بن شريك^(٢١) .

وسجل لأول مرة الشذوذ الجنسي في سيرة الشاعر العربي الابوين
الاحوص^(٢٢) وظهر فاشيا بين المخنين والمغنين في المدينة وهو يصور تطورا جديدا
في المجتمع العربي وسجل الشعراء في اواخر العصر الاموي النماذج الاولى
للغزل بالمذكر . . .

ز - العصبية الجنسية والدينية :

وكرر فعل على الاسلام الذي ساوى بين الاجناس السوداء والبيضاء والسمراء .
نظريا حيث حاول محمد (ص) تطبيق هذه المساواة جهده فقد ظهر الاعتزاز القديم
بالعصر العربي ولاسباب تتعلق بالمحافظة على السلطة شجع الامويون هذا الاتجاه
وانعكس ذلك على جميع نواحي الحياة الاجتماعية والفنية . فقد أصبح الزواج
بالموالي مثلاً في عصر الامويين معروفاً^(٢٣) وأصبح مستحيلاً تقريبا بين الاسود
والعربية وتأثرت الاحكام الادبية بهذا أيضا فنصيب الشاعر مثلاً هو « اشعر اهل
جلدته » فقط !

وقتل سحيم - عبد بني الحسحاس لانه كان عبدا وقد تجرأ على الغزل بنات

العشيرة .

ومن خلال التيار الاسلامي اصبحت نظرة المسلم الى اخيه العربي من المسيحيين
فيها شيء من « الحرج » ، فسرعان ما نما في نفس الشعب شيء من الطوطمية الدينية
تتعلق بالنجاسة ممن يأكل او يشرب ما لا يحله الاسلام^(٢٤) وقد اعتمد هجاء
جرير للاختل على هذه النظرة الشعبية الجديدة للاديان الاخرى في الوقت الذي
نرى عليه القوم يعاشرون هؤلاء الناس^(٢٥) . ومما يدل على وجود نظرتين مختلفتين
للمسيحيين في المجتمع الاموي قول الاختل .

« ان العالم بالشعر لا يبالي وحق الصليب اذا مرّ به البيت المعابر السابر
الجيد امسلم قاله أم نصراني » .

ح - شعر الغزل :

وفي العصر الاموي تطور شعر الغزل الجاهلي وانشط الشعراء في هذا العصر

الى شطرين : شطر يمثل الاتجاه التقليدي في الوصف والتشبيه التقليدي الذي عبر فيه الشاعر عن المظاهر الخارجية لجسد الانثى واهتم به كشيء موجود عليه ان يتشوق له ويصفه ويقارنه بظواهر البيئة التي يعيشها ويحيها •

واستمرت المدرسة الاسلامية التقليدية في هذا الاتجاه وان كانت قد جددت وطورته وقاربت فيه موضوع القصة الشعرية او الرومانس الشعري Poetical Romance تقريبا على يدي امام مدرسة المسلمين من الوصاف الحسين : عمر بن ابي ربيعة • اما الشطر الآخر من هذه المدرسة : فقد اهتم بوصف تأثير عاطفة الحب نفسها كعاطفة في نفس الشاعر او في نفس المرأة وان هذا الخلاف في اسلوب التعبير لا علاقة له كما يبدو في السلوك الجنسي عند العرب السلوك الذي لم يتغير في الاسلام عما كان عليه في الجاهلية الا في بيئات ضيقة •

فالسلوك الجنسي عند الوثنيين العرب لم يكن مترمنا كما يخیل للانسان من أول وهلة فالمعاشرة والمخادنة والخيانة الجنسية والزنا كل ذلك معروف وسلوك موجود في تاريخهم وكان للجاهليين انواع من السلوك ياباها المتحضر الآن موجودة في كتب التاريخ •

وكان نهب المرأة المتزوجة والفتاة نظاماً معمولاً به وكذلك سبيها واسرها واستعبادها •

وازداد الاسلام ان يغير سلوك المرأة العربية والرجل العربي فوجد حلاً للزواج وإباح تعدد المرأة وشدد النكير وجعل العقاب شديداً ولكن يبدو ان المجتمع العربي فضل ان يسير على العادات الجنسية الوثنية القديمة وخاصة المرأة المسلمة واشتد ذلك في العصر الاموي للترف والغنى ومزاحمة الجواري للمرأة العربية وكثرة الشعراء وتكاثر المجتمعات العربية في الامصار ... وحماية لسمعة الاسلام ولايجاد تفسير معقول لهذا السلوك الغريب الذي سجل بشكل متواتر في علاقة الشعراء بنساء متزوجات في الاسلام فقد حاول الشعراء ان يخلقوا مثلاً جديدة غير جاهلية وتقاليدها غرامية افلاطونية نظرية وراح بعض الاخلاقيين يؤكد وجودها بما نظم هؤلاء الشعراء الذين اخذوا يعفون على آثام جرائمهم حماية لانفسهم من العقاب ورفض بعض اهل الكلام ومنهم النظام التصديق بهذا العشق

الافلاطوني وان كل ما قاله الشعراء والقصاص ان هو الا تغطية وحماية وتعمية على هذا السلوك الوثني في البيئة الاسلامية الجديدة • وهذه التفسيرات في الغالب تفسيرات متأخرة •

فقد حاول ابن قيم الجوزية (٦٩١ - ٧٥١ هـ) ان يشرح هذه النظرية الافلاطونية في (اخبار النساء) وان يؤكد بها بشواهد نظمها الشعراء انفسهم الذين هم الخصم والحكم في الموضوع • قال :

« وكان الشرط بين العاشق ومعشوقته اذا خلوا ان يكون له نصفها من الاعلى من سرتها الى قمة رأسها يصنع فيه ما شاء ولبلعها من سرتها الى اخصصها وانشد ابن الاعرابي في مثل ذلك :

فللخل شطر مطلق من عقاله وللبلع شطر ما يُرام منيع

وانشد ابو عمرو بن العلاء في نحوه :

لها نصفان من حل وبل ونصف كالبحيرة لا يهاج !

يقول نصفها الاعلى لعشيقها طلق ونصفها الآخر عليه كالبحيرة - فانها كانت في الجاهلية حراماً لا تهاج ولا تركب ولا تمنع من كلاً ولا ماء • وانشد الاصمعي لبعض ظرفاء العرب يخاطب بعل عشيقته :

فهل لك في الببدال ابا زنيم واقنع بالاكارع والعجوب !

ولم يصدق اهل الكلام هذه العلاقة الافلاطونية فقال ابراهيم بن بشارة النظام :

« قد يمكن الرجل ان يحتجز عن ذلك ما دام ليس هناك الا الحديث والقبلة اما اذا ترشفها وعانقها من دون ثيابها فلا بد ان ••••• وينشط واذا ••••• وهو في الازار معها انتقض العزم كما قال عبدالرحمن بن ام الحكم :

دعني اخاها ام عمرو ولم اكن اخاها ولم ارضع لها بلبان
دعني اخاها بعد ما كان بيننا من الامر ما لا يفعل الاخوان ! » (٢٦)

وفي علمي ان الاسلام لم يبح مثل هذا ولكن هذا السلوك كادت تجري عليه الغالبية الكبرى من النساء والشعراء في المجتمع الاسلامي الاموي في الحاضرة والبادية وفي قصة جميل بثينة امثلة تدل حتماً على ان جميل كان بدوياً جاهلياً في سلوكه ولم يكن اسلامياً يخضع لمثل الاسلام وليس شيء من الاسلام في سلوكه بثينة ومعاونتها على هذا الحب الحرام وهي في عصمة رجل آخر وان الحب العذري او الافلاطوني ان هو الا اسطورة في مفهومها الاكاديمي المعاصر وان النسبة الى « عذرة » لم يكن في معنى « العفة » في الحب وانما معناه « التسامح » في الحب مقابل قبائل أخرى ربما كانت اكثر تفتناً في هذه الامور ...

ط - اثر البيئات الاجنبية :

وأخر ما اصاب الشعر الاموي من تطور هو تلون البيئة واختلافها تبعاً لما اصاب المجد العسكري العربي من نصر فقد ضربت قدم الشاعر العربي مع الجيوش الزاحفة ارضاً لم تطرقها قدم عربية من قبل • وان سرايل القتلى وجماجمهم وعظامهم تساقطت في اصقاع لم يحلم اصحابها انهم سوف يصلون اليها وقد وصف يزيد بن مفرغ شوق المجاهد الزاحف مع الجيوش في اقطار العالم الواسع الى وطنه واثار الى ضياع الآلاف منهم وقال :

كم بالدروب وارض الهند من قدم ومن جماجم قتلى ما هم قبروا
ومن سرايل ابطال مضرجة ساروا الى الموت ما خاموا وما ذعروا
بقندهار ومن تحتم منيته بقندهار يرجم دونه الخبر
اجد اهلك لا يأتيهم خبر منا ولا منهم عين ولا اثر (٢٧) !

وهناك تعرف الشاعر الى بيئات جديدة وعادات أخرى واناس آخرين وترك ذلك كله اثره في الشعر الاموي وقد هيأت هذه الاجواء البعيدة عن السلطة نشوء ادب « الخمرة » ونشاطه وقد هيأ هؤلاء الرواد نماذج الشعر الخمري لشعراء الدولة العباسية ومن هؤلاء الشعراء الذين خرجوا عن الامصار القريبة والجزيرة الى الاقطار البعيدة في الامبراطورية الاسلامية : ابو حزاب (٢٨) والشمر دل بن شريك (٢٩) والصمة القشيري (٣٠) وعبدالله بن الحشرج (٣١) ويزيد بن مفرغ وغيرهم كثير ...

٤ - مخضرمو دولة بني امية ودولة بني العباس :

في الفترة التي تلت حكم هشام كانت جميع الثورات العلنية قد همدت وفشلت وضعف امر الخوراج فضعف تبعاً لذلك شعر الافكار السياسية وسكت شعراء الشيعة وغيرهم وانحاز الرجال الطامعون في السلطة الى التنظيم السري الذي نتجت عنه الدولة العباسية فيما بعد .

أ - ظواهر ادبية تختفي :

وبموت جرير والفرزدق ضعف كذلك الشعر القبلي وشعر المناقضات والمفاخرات ولم يبق منه شيء ذو بال وبدأت العصبيات القبلية كذلك تذوب وتضعف الى حد ما وفي هذه الفترة عاش آخر شعراء المسيحية العرب وهو القطامي (٣٢) وبموته اختفى الشعراء المسيحيون العرب تقريباً من ميدان الشعر العربي كما اختفى اليهود قبلهم في عهد الراشدين اما باسلامهم او بانغزالهم .

ب - خصائص شعراء العصر الجديد :

ولم يكن شعراء هذه الفترة التي صاحبها الضعف السياسي من ذوي النباهة والمجد الفني فان العصر الذي خلق جرير والفرزدق غير العصر الذي عاش فيه هؤلاء الشعراء وان ذوي النباهة من شعراء هذه المدرسة انما حصلوا على شهرتهم في اول عصر العباسيين قبل ان يموتوا . ولاسباب لا علاقة لها بفنهم بقدر ما كانت ذات علاقة بالسياسة او الزندقة او السيرة الشخصية المتحللة او شهرة الشخصية بال نوادر والاضحاك كشخصية ابي دلامة (٣٣) .

ج - القلق السياسي :

وتميز شعراء هذه الفترة بقلق التفكير السياسي من حيث وقوفهم في جانب السياسة الاموية او السياسة الجديدة في حكم بني العباس فقد أضر بعض الشعراء عن التخلي عما مدحوا به من شعر وتنكر بعضهم لاسيادهم الماضين مثل ابي نخيلة الحماني (٣٤) وابن هرمة (٣٥) وكان بعضهم قد انحجر وانعزل عن السياسة الجديدة كأبي عطاء السندي (٣٦) الذي هجا بني العباس .

وقد قوي في هذا العصر الميل الى شعر المجون والخلاعة والخمرة والغزل بالذكر ومن شعراء الخمرة ابن هرمة وابن الخياط (٣٧) ومن شعراء التحليل

الخلقي مطيع بن اياس (٣٨) وحماد عجرد (٣٩) وغيرهما ...

د - الاسراف في المجون وظهور الزندقة :

وظهر في هذا العصر الشك الديني وبدأت الافكار الفلسفية والديانات الغريبة تتخلل بين السطور الفنية فقد كان هناك عدد من الشعراء من ضعفاء الدين والايمان امثال ابي دلامة وابي الهندي (٤٠) وحماد عجرد ومطيع بن اياس وغيرهم وقد هيأت هذه المدرسة كثيرا من الاسس للمدرسة التي ظهرت شامخة في استقلالها الفكري عن اتجاه الدولة الديني وكان بين رجالها امثال بشار بن برد وابي نواس وغيرهما .

واذ توجه ابو نواس الى هذا التدقيق والتخصص في وصف الخمرة فذلك يوحي دون شك الى واضعي الاسس في هذه الموضوعات وقد ادرك ابو الفرج ومعاصروه ومن سبقهم ذلك الاثر في شعر شعراء المدرسة العباسية التي اعتمدت على شعراء الانتقال هؤلاء ولذلك فهذه المدرسة المخضمة تعتبر حلقة الوصل بين شعراء البداوة والعروبة وبين شعر الحضارة والاممية دون شك .

هـ - اممية الادب العربي ونظرية وراثته الشعر :

وظهرت في هذه الفترة كثرة كاترة من ابناء الفرس والعبيد والامم التي دخلت في الاسلام من الذين نظموا الشعر واجادوا واخذوا فيه الجوائز السنية او تركوا الاثر الجليل في الادب والرواية والنحو والفقه فمن الشعراء من غير العرب في فترة المخضمين العباسيين هذه : الحسين بن مطير وابن الخياط وابو دلامة وحماد عجرد وحماد الراوية وسديف مولى بني هاشم وابو عطاء السندي وابن المولى وابن ميادة (الذي كانت امه اجنية) وابو الهندي وغيرهم كثير ... وبهذا قد قضى ظهور هؤلاء في عالم الشعر على نظرية اعتقد بها العرب والمتعصبون لهم وحملة الشعر الجاهلي القديم ورواته وهي نظرية « وراثته الشعر » وضعفت هذه النظرية ضعفا بينا في هذا العصر حتى لم تعد تذكر كثيرا الا في اشارة عند الكلام على ابن ميادة ومروان بن ابي حفصة .

ولما كان لم يسبق لاحد من مؤرخي الادب قبلنا ان تكلموا في هذا الموضوع فقد رأينا ان نجتمع النصوص المتفرقة التي تدور هذه النظرية حولها . وسوف

نشهد انهيارها حين نرى ان اكثر شعراء بني العباس الفحول لم يكونوا من اصول عربية .

فالجاهليون كما يبدو كانوا يعتبرون الخصائص النفسية والذكاء والكرم والنباهة والغفلة والشجاعة وكل هذه الصفات الاخرى تورث وتنتقل من الاب الى الابن او من الاخوال او الاعمام عن طريق الام او الاب ولذلك فقد قالوا : « من شابه اباة فما ظلم » ومن امثالهم : « لا تلد الحية الا الحية » .

ومن النصوص القديمة التي تدلل على اعتقاد العرب بانتقال الصفات النفسية ما قاله اعرابي لعروة بن الورد :
قال :

« ان الذي رأيت من صرامتي من قبل اعمامي وهم هذيل وما رأيت من كعاعتي فمن قبل اخوالي وهم من خزاعة » . (٤١) .

والظاهر ان العرب في الجاهلية صنفوا قبائلهم حسب النبل واللؤم والنذالة والكرم : فباهلة وسلول من القبائل الذليلة واستمر هذا الاعتقاد سائدا حتى في الاسلام حتى فضل احد الاعراب الا يكون باهليا وان تكون له الدنيا وخير في دخول الجنة على ان يكون باهليا فقبل بعد تردد على الا يعلم اهل الجنة بنسبه واذا صح هذا عن الجاهليين فاعتقد ان كل ما ذكر عن وراثه الشعر فمن صنع الرواة الاسلاميين في بداية العصر الاموي حيث اشتدت الخصومة بين العرب والاجناس الاخرى والظاهر ان هذه النظرية التي تزعم وراثه الشعر انما هو جواب على تساؤل معاصر لهذا الخصومات خلاصته :

— هل يمكن لغير العربي ان يقول الشعر ؟ وكان الجواب الضمني : ان الشعر لا يقوله اعجمي وانما هو عربي وعربي لا يقوله كل عربي الا اولاد الشعراء وابنائهم ومن تزوج فيهم او في قبائلهم ولذلك فقد اسموا الشاعر الذي يقول الشعر ولم يكن احد في اهله شاعراً « النابغة » . جاء في اللسان مادة (نبغ) ما يلي :

« نَبَغَ الرجل يَنْبَغُ نَبْغاً لم يكن في (ارثه) الشعر ثم قال فاجاد ومنه سمي الشعراء نحو الجعدي والذبياني وغيرهما »

وان من اقدم النصوص التي تتعلق بوجهة نظر الجاهليين بخصوص نظرية وراثة الشعر ما تركه الرواة من اخبار تقول : ان بشامة ابن الغدير خال زهير بن ابي سلمى لما حضره الموت جعل يقسم ماله في اهل بيته وبين بني اخوته فاتاه زهير فقال :

« يا خاله ! لو قسمت لي من مالك ! فقال : والله يا ابن أخي لقد قسمت لك افضل ذلك واجزله . قال ما هو ؟ قال : شعري ورثتيه ! وقد كان زهير قبل ذلك قال الشعر وقد كان اول ما قال فقال له زهير : الشعر شيء ما قلته فكيف تعتد به علي ؟ فقال بشامة : ومن اين جئت بهذا الشعر ؟ لعلك ترى انك جئت به مزينة وقد علمت العرب ان حصاتها وعين مائها في الشعر لهذا الحي من غطفان ثم لي منهم وقد رويته عني » (٤٢) وكان محمد بن سلام بين الرواة ركنا مهما في وضع أسس هذه النظرية فهو قد سبق له ان قسم الشعراء الى طبقات وفاضل بينهم على أساس المفاهيم القبلية كالفرسية وكثرة الشعر والسودد بالاضافة الى قول الشعر وهذه المفاهيم او بعضها هي المسؤولة عن وضع امرئ القيس على رأس قائمة شعراء الجاهلية دون شك .

ويؤكد قولنا ما قاله محمد بن سلام عن وراثة الغزل عند عمر بن ابي ربيعة عن الاصول اليمانية قال :

« وام عمر بن ابي ربيعة ام ولد يقال لها : مَجْد ، سبيت من حضرموت ويقال من حمير . قال ابو مَحَلَم ومحمد بن سلام هي من حمير ومن هناك اتاه الغزل يقال : غَزَلَ يمانٍ ودَلَّ حجازي » (٤٣) وقبل محمد بن سلام كان شعراء القرن الاول قد ساعدوا كثيرا على رسوخ هذه النظرية واهمهم الفرزدق . فقد ورد اسمه مقروناً مع كثير من النصوص التي تشير الى وراثة الشعر عند العرب والفرزدق متعصب مغرق في تعصبه لمضر اولاً ثم للعرب ثانياً وهو محققر لكل من لم يكن مضرياً . فقد رفض الخروج من السجن لان بكرياً اطلق قبله ولان الذي توسط له دعي او متهم في نسبه وهذا منتهى الاعجاب والته .

وهو نفسه يعترف ان الشعر انما اتاه من قبل خاله عن طريق امه قال :

« قيل للفرزدق مالك وللشعر • فوالله ما كان ابوك غالب شاعراً ولا كان صمصمة شاعراً فمن اين لك هذا ؟ قال : من قبل خالي • قالوا : اي اخوالك ؟ قال : خالي العلاء بن قرظ (٤٤) •

واذا كان الفرزدق يقول بهذه النظرية ويطبقها على نفسه فقد حاول ان يراها تسري على الآخرين كذلك • قال :

« مرّ الفرزدق بيزيد بن الحكم بن ابى العاص الثقفي وهو ينشد في المجلس شعراً فقال : من هذا الذي ينشد شعراً كأنه من اشعارنا ؟ فقالوا : يزيد بن الحكم ! فقال : نعم ! اشهد ان عمتي ولدته ! وام يزيد بكرة بنت الزبرقان بن بدر وامها هُنيدة بنت صمصمة بن ناجية وكانت بكرة اول عربية ركبت البحر فاخرج بها الى الحكم وهو بتوَجَّج ! » (٤٥) •

فهو اذا قال الشعر بالوراثة المباشرة عن خاله فهو قد اورث الشعر غيره بالتأثير غير المباشر •

والظاهر ان اغلب شعراء العربية في القرن الاول كانوا يعتقدون كعامة الرواة بهذا الميل في وراثة الشعر ويميل الحطيئة الى الاعتقاد ان الوراثة الشعرية تتم عن طريق الاب وان الام تحمل خصائص الآباء الى ابنائهم فقط • فقد داعب الحطيئة الفرزدق وقال له :

« يا غلام ! انجدت امك ؟ قال : لا بل ابى ! اراد الحطيئة ان كانت امك انجدت فقد أصبتها فولدتك اذ شابهتني في الشعر فقال الفرزدق : لا ، بل ابى • فوجده لقيناً » (٤٦) •

ويصدر نفس هذا القول عن الفرزدق لكثير حين قال له :

« يا ابا صخر ، هل كانت امك ترد البصرة ؟ قال : لا ولكن ابى كان كثيرا يردّها ... » (٤٧) •

وتقل الإشارة الى هذه النظرية كلما تقدم الزمن واضعفاً كما قلنا نجوم شعراء ليسوا عرباً ولكن مع ذلك نجد صداها يتردد وتعليل الظواهر الشعرية يعتمد أحياناً عليها • وهذا ما قيل عن ابن ميادة وامه فارسية او صقلية كما تروي

الإخبار قال : « اخبرنا يحيى • قال : حدثنا حماد عن ابيه (اسحق ابن ابراهيم الموصلي) عن ابي داود قال :

ام بني نوبان - وهو ابرد ابو ابن ميادة والعوبثان وقريض وناعضة - وكان العوبثان وقريض شاعرين امهم جميعاً سلمى بنت كعب بن زهير بن ابي سلمى ويقال : ان الشعر اتى ابن ميادة عن اعمامه من قبل جدهم زهير » (٤٨) •

وقيل مثل ذلك حين تكلم الرواة عن آل ابي حفصة وهم عائلة عريقة من الشعراء السلطانيين قال :

« قال محمد بن ادريس وحدثني ابي قال : كان مروان بن ابي الجنوب يقول : ام يحيى بن ابي حفصة لحناء بنت ميمون من ولد النابغة الجعدي وان الشعر اتى آل ابي حفصة بذلك السبب » (٤٩) •

والظاهر ان الذي حير الشعراء والرواة وهداهم الى هذه النظرية ملاحظتهم وجود عوائل شعرية في بعض القبائل وان تفسير وجود « ارومة شعرية » (٥٠) كما عبر عنها القدامى ومعناها الاصول والجزور ممكن ومقبول من غير تحميل الوراثة كل هذه المصاعب فان « البيئة » هي التي تساعد على تنمية القابليات الفنية وما احرى ان يكون اى شاعر انما نشأ متأثراً بالسماع والمعايشة والحفظ اضاف الى ذلك الاحساس والاستعداد الفطري • وقد أشار بعض الرواة الى وجود الأرومات الشعرية وذكروا العوائل التي ظهر فيها الشعر متتابعاً بين الآباء والابناء وتفسير عامل التأثير والتأثر ميسور ومقبول • فقد قالوا عن النعمان بن بشير : « من المعرفين في الشعر سلفاً وخلفاً ، جده شاعر وابوه وعمه شاعران وهو شاعر واولاده واولاد اولاده شعراء » (٥١) •

وقالوا عن كعب بن مالك :

« ولكعب بن مالك أصل أصيل وفرع طويل في الشعر ابنه عبدالرحمن شاعر وابن ابنه بشير بن عبدالرحمن شاعر ومعن بن عمرو بن عبدالله بن كعب شاعر والزبير بن خارجة بن عبدالله بن كعب شاعر وعبدالرحمن بن عبدالله بن كعب ابو الخطاب شاعر ومعن بن وهب بن كعب شاعر وكلهم مجيد مقدم » (٥٢) • والملاحظ ان هذه النظرية لم تدخل نطاق النقد الادبي وانما دخلت نطاق الاخبار

التاريخية وتاريخ الادب والانساب واختفت في القرن الرابع والظاهر انها حملت
ميتة عبر القرنين الثاني والثالث والظاهر ان النقاد اهلوها او تجاهلوا او انها
فاتتهم فلم يشيروا اليها من قريب او بعيد نفيًا او ايجاباً •

٥ - شعراء العصر العباسي :

هناك بعض الظواهر العامة في العصر العباسي منها ما يخص الشعراء
واشخاصهم وسيرتهم ومنها ما يخص الفن الشعري وما أصابه من تبدل ومن ظهور
فنون شعرية جديدة او توسيع القول منها •

١ - خصائص المجتمع الاممي :

فمن ابرز الظواهر في العصر العباسي ان الغالبية العظمى من الشعراء هم
من سكان المدن وخاصة الحواضر الكبيرة لانها أصبحت المخازن الوحيدة التي
استودع فيها ادب العرب ولقنتهم ولان اللغة والادب العربيين اصبحا علماً يتعلمهما
الطالب في المسجد والحلقات وأصبح العروض فن يدرسه الشاعر كي يكون
شاعراً وعلى هذا لم تعد السليقة وحدها هي التي تخلق الشاعر •

ولما كان اكثر ابناء المدن العباسية من الاعاجم والترك والروم والزنج وان
العنصر العربي منها لا يشكل الا عنصر القيادة او الجند فان اكثر شعراء العصر
العباسي هم من أصول غير عربية وان اعظم شعراء العصر العباسي هم من اصول
غير عربية كأبي نواس وابي العتاهية وبشار •

وهناك قائمة طويلة من اهل القلم لم يكونوا عرباً منهم :

ابان اللاحقي وابراهيم بن سيابة وابراهيم بن العباس - وهو يمثل العنصر
التركي - واحمد بن يوسف الكاتب واسماعيل القراطيسي وحسن بن وهب وابو
حفص الشطرنجي وخالد الكاتب وابن دراج الطفيلي وديك الجن وزياذ الاعجم
وسعد بن حميد الكاتب وسعد بن وهب وسلم الخاسر وسليمان بن وهب والعطوي
وعلي بن جبلة وعنان الجارية وفضل الشاعرة ومحمد بن يسير ومسلم
ابن الوليد وابن منذر ونصيب الاصغر وهو يمثل العنصر الزنجي وغيرهم كثير •

وبهذا تكون نظرية الوراثة التي نشأت في عصر التمييز العنصري زمن

الامويين قد ماتت نهائياً وقضى عليها بعد ان سببت كثيراً من المتاعب النفسية والاجتماعية والسياسية لاجيال من البشر خاصة الادباء واهل العلم فيهم .

ب - طبيعة المجتمع الاممي :

ان الظاهرة التي تكاد تشمل المجتمع العباسي بمن فيه هو التحلل الخلقي والديني والتعهر والفجور نخص بذلك الرجال والنساء كافة والناس على مختلف مستوياتهم الخلفاء منهم او الفقهاء او الشعراء والنساء الحرائر منهن أو الجواري . وأصبح - بسبب هذا التحلل - ضرورياً في العصر العباسي التمييز بين « الزندقة » وهي تهمة خطيرة وبين « التحلل والفساد » والحد بينهما ضئيل وقد استعمله الخلفاء للايقاع بخصومهم اذا ارادوا ذلك وقد يبررون سلوك من ارادوا النجاة به . فقد دافع المهدي عن مطيع بن اياس امام ابي جعفر المنصور وقال : « انا به عارف ! اما الزندقة فليس من اهلها ولكنه خبيث الدين ، فاسق ، مستحل للمحارم » (٥٣) .

واباح احد الخلفاء من بني العباس الخمر لاحد شعرائه لانه كان منهوماً بالشراب مغرماً به فاوصى اذا اتى به جلواز سكران ان يضرب الشاعر ثمانية والجلواز مائة فكان اذا رآه احدهم وهو سكران يقول : « من يشتري المائة بثمانين ؟ » .

والظاهر ان المرأة العباسية في هذا العصر بلغت من التحلل حداً كبيراً جداً واستخدمت حقوقها استخداماً فاحشاً خاصة نساء الطبقة الراقية والحاكمة فعلية بنت المهدي كانت تشرب الشراب وتغني وتعشق وبيع لها اتخاذ الغلمان وما ملكت اليمين ولا يمكن ان يكون مفهوم النصوص التالية غير هذا :

« من أصبح وعنده طباهجة باردة ولم يصطبج فعليه لعنة الله ! » (٥٤) .
« كانت عُلَيَّة حُسنة الدين وكانت لا تغني ولا تشرب النبيذ الا اذا كانت معتزلة الصلاة ... » (٥٥) .

وقال عن مغامراتها مع « طل » وهو غلام لاختها وهبه الرشيد لها بعد هذه القصة :

« كانت عُلَيَّة تحب ان تراسل بالاشعار من تختصه فاختصت خادما يقال له : طلّ من خدم الرشيد فكانت تراسله بالشعر فلم تره اياماً فمشت على ميزاب وحدته وقالت في ذلك :

قد كان ما كلفته زمناً يا طلّ من وجد بكم يكفي
حتى اتيتك زائراً عجلاً امشي على حنق الى حنق

فحلف عليها الرشيد الا تكلم طلا ولا تسميه باسمه فضمنت له ذلك واستمع عليها يوماً وهي تدرس آخر سورة البقرة حتى بلغت الى قوله عزّ وجلّ « فان لم يصبها وابل فطل » وارادت ان تقول (فطل) فقالت : فالذي نهانا عنه امير المؤمنين * فدخل فقبل رأسها وقال : قد وهبت لك طلا ولا امنعك بعد هذا من شيء تريدنيه !! » (٥٦)

اما (عريب) فقد بلغت في تحللها ومغامراتها وجرأتها القمة فقد هربت في اول شبابها من مالکها بسلم من جبال الى بيت حبيبها وكانت وهي في عصمة المأمون تخرج وتزور من تهوى من قواده بكل جرأة واندفاع وفي هذا النص ما يدل على جرأة المرأة المسلمة وتحررها المخيف الذي بلغته في عصر تعفن فيه كل شيء * قال الراوي :

« حدثني احمد بن حمدون عن ابيه قال : كنت حاضراً مجلس المأمون ببلاد الروم بعد صلاة العشاء الآخرة في ليلة ظلماء ذات رعود وبروق فقال لي المأمون : اركب الساعة على فرس النوبة وسر الى عسكر ابي اسحق - يعني المعتصم - فادّ اليه رسالتي في كيت وكيت قال : فركبت ولم تثبت معي شمعة وسمعت وقع حافر دابة فرهبت ذلك وجعلت اتوقاه حتى صك ركابي ركاب تلك الدابة وبرقت بارقة فاضاءت وجه الراكب فاذا عريب * فقلت : عريب !؟ قالت : نعم * حمدون ؟ قلت : نعم * ثم قلت من اين في هذا الوقت ؟ قالت : من عند محمد بن حامد قلت : وما صنعت عنده ؟ قالت : - ياتكنش * عريب تجيء في مثل هذا الوقت من عند محمد ابن حامد خارجة من مضرب الخليفة وراجعة اليه تقول اي شيء عملت عنده ؟ صليت معه التراويح ؟ او قرأت عليه اجزاء من القرآن ؟ او دراسته شيئاً من الفقه ؟

يا احمق ! تحدثنا ، وتعاتبنا ، واصطلحنا ، ولعبنا ، وشربنا وغينا ،
..... وانصرفنا • فاجلنتني وغازتني واقرقنا ومضيت ، فاديت الرسالة ثم
عدت الى المأمون واخذنا في الحديث وتناشد الاشعار وهممت والله ان احديثه حديثها
ثم هبته ! » (٥٧) •

واخذ الشعراء بنصيهم من هذه الحياة المنهومة باللذة واللهو والفسق
والفجور •

فقد كان محمد بن يسير « مشغوفاً بالنيذ ما بات قط الا
سكران ... » (٥٨)

وكان ابن منذر « في اول امره يتأله ثم عدل عن ذلك فهجا الناس وتهتك
وخلع وقذف اعراض اهل البصرة » (٥٩)

وكان عبدالله بن العباس الربيعي « لا يفارق الصبوح ابدا الا في يوم جمعة
او شهر رمضان واذا حج » (٦٠) •

وابو شراعة القيسي حلف بالطلاق ألا يعود الى شرب الخمرة « ثم طلق
امراته وعاد الى شربها » (٦١)

وكان ابو شبيل البرجمي « ماجناً فنفق عند المتوكل بايثاره العبت » (٦٢) •
وكان ابو الشيص يحب الغلمان وقتله غلام راوده عن نفسه فضربه بسكين •
وكان علي بن ابي الجهم متهما بالشذوذ وهجاه البحتري بذلك وتحامق
ابو العبر الهاشمي زمن المتوكل ايضا وكان يميل الى السخرية والعبث حتى سخر
من شاعره البحتري وشتمه الصيمري في بلاطه والخليفة يضحك ويصفق •

وتوجد قائمة طويلة من الشعراء المتحللين منهم على سبيل المثال :

ابراهيم بن سيابة وآدم بن عبدالعزيز واسماعيل القراطيسي وشار بن برد
وابو نواس والتمي والحسين بن الضحاك ودعل الخزاعي عدا من ذكرنا وغيرهم
ايضا •

ج ضعف الشعر البدوي وظهور الشعر الفلسفي :

وفي العصر العباسي ضعف الشعر البدوي وكاد يختفي وأصبح الشعر شعر
الحاضرة فقط والسبب في ذلك ان الشعر في العصر الاموي والاسلامي والجاهلي

كان يعتمد على العاطفة والخيال فقط وان الذهنية العباسية ذهنية قد ارهفتها المطالعة والتراجم والنقاش والفلسفة والمنطق ولذا أصبح لزاما على الشاعر الاطلاع على ما يدور حوله من علم وجدل ونقاش فيه ليواكب تطور المجتمع وقد هزت اقوال الشعراء في العصر العباسي الأول ضمائر المسلمين والمؤمنين لجرأتها وان سماع الشعر وروايته كان اكثر شيوعا من قراءة كتب الفلاسفة او حضور حلقات العلماء في مساجدهم وكان سفير العلم الجديد هو الشاعر الذي يأخذ ويقتبس من هذه الافكار الغربية الجديدة الوافدة بينهم ويعرضها بفخر على انها « موضة » الفكر الحديث ولذلك نشأ عن هذا التجديد في معاني الشعراء كثير من التهم وقاسى الشعراء كثيرا من السجن والعذاب ونجا الفلاسفة والمفكرون والمترجمون بجلودهم •

د - التجديد الشعري :

وجدد المعاصرون في معاني القصيدة وافتتاحها وقاد الحملة في ذلك ابو نواس وسخر من وقوف القدامى على الاطلال واغرق في سخريته حتى سخر من العرب ومن حياتهم الجافية القاسية ومن بيتهم التي لا حضارة ولا ترف فيها ولم تعرف المدن والميوعة وتمكن الشعراء ان يفرضوا انفسهم على رواة الادب القديم وحملة الثقافة الادبية فدخلت اشعارهم في مرويآتهم وكتبهم التي خصصت للغة العرب الاقحاح وادخلوها في شيء من الحياء على انها انماط جديدة من التفكير مستحسنة وفيها من الصور ما يجعلها تقرأ لجمالها لا على انها شواهد لغوية او نحوية ويظهر ذلك واضحا في اقوال المبسرد في الكامل وبدأ مؤرخو الادب يؤرخون لهم ويدافعون عنهم وحمل لواء التراجم ابن قتيبة في كتابه الشعر والشعراء ودافع عن وجهة نظره في مقدمته كما اشار الى ذلك الجاحظ من قبل ...

هـ - الخروج على الاوزان :

وحاول الشعراء في هذا العصر بالذات الخروج لأول مرة على اوزان العرب القدامى ونظم الشعر في اوزان جديدة مستحدثة ومختصرة من الاوزان القديمة واشتهر بذلك ابو العتاهية ورزين العروضي ووضع الاخفش بحره العروضي الجديد •

و - شعر الزهد والافكار الاجنبية :

وتبعاً لانغماس الشعراء في هذا التراث الفكري الوافد فقد اتجه بعضهم الى شعر الفلسفة والزهد ونظروا الى ما بين ايديهم من تراث نشري او اجنبي يمكن استخدام افكاره وارائه لهذا الغرض فقد نظم بعض الشعراء معاني لعلي بن ابي طالب في الزهد ونظم ابو العتاهية معاني فلسفية اغريقية وقد نبه على ذلك ابو الفرج الاصفهاني نفسه ودخلت الفاظ اهل الكلام والفلسفة في شعر ابي نواس وغيره

ز - شعراء البؤس والفاقة :

وبدأ شعراء البؤس والتطفل والحقارة يظهرون منذ اول العصر العباسي وهم الذين مهدوا الدرب لشعراء القرن الرابع وهياؤوا لادبهم الساخر المتحلل كما تعكسه يتيمة الدهر للثعالبي وقد سبق شعراء هذا العصر شعراء امويون على ندرة ولا يمكن ان نضع امام القارئ الا اعمار ذكي كبار الاعشى المؤسس لهذا الفن . فمن شعراء البؤس الفقراء ابن دراج الطفيلي^(٦٣) وابو الشقمق البائس ومنهم ايضا البخلاء من الشعراء الذين ساروا سيرة البائسين في حياتهم مثل مروان بن ابي حفصة^(٦٤) وابي العتاهية^(٦٥) رغم كسبهم الفاحش .

ومن المتحامين : الصيمري وابو الشبل البرجمي^(٦٦) وابو العبر الهاشمي^(٦٧) .

ح - شاعر البلاط

ولأول مرة في الادب العربي تظهر شخصية شاعر البلاط الذي ينظم الشعر لاولاد الخلفاء ونسائهم ثم يدعونه وينشرونه باسمائهم وشاعر البلاط العباسي هو « ابو حفص الشطرنجي »^(٦٨) .

ومن شعراء البلاط شعراء المدرسة السياسية العباسية وهم شعراء لم يشبهوا غيرهم من الشعراء الامويين . فشعراء المدح الاموي كانوا يمدحون الخلفاء لا يضعون لهم النظريات فالشاعر الاموي يمدح ولا يناصر ولا يتعصب ولا يلتزم الا ما ندر والا ما جاء عن قربي او علاقة خاصة اما شعراء السياسة العباسية فانهم

جماعة قاموا على وضع نظرية وراثية السلطة والخلافة ونقلوها من الفقه الى رحاب الفن وخلصتها :

ان العم يحجب البنت عن الميراث • ومعنى هذا ان عبدالله بن عباس يحجب فاطمة واولادها عن وراثته الحكم من محمد وائمة هذه المدرسة الشعرية عدد ضئيل من الشعراء اشهرهم : منصور النميري^(٦٩) وقد عاد هذا فانقلب على النظرية واصحابها وكان يتشيع واراد الرشيد نبشه وخرقه بعد موته • وابان بن عبد الحميد اللاهقي^(٧٠) وقد غاظه ما يناله مروان بن ابي حفصة من مال فنافسه في التبشير بهذه النظرية • ومروان بن ابي حفصة^(٧١) وعائلته مروان الاصغر ومتوج وهم من اصول يهودية^(٧٢) وجدهم مولى من موالى بني أمية وقد وجدوا متنفسا لحقدهم في شتم الجناح العلوي وعلي بن الجهم^(٧٣) وهو حاقد على العلويين لاسباب تاريخية لان اجداده سباهم علي بن ابي طالب واستعبدتهم كما هو معروف في التاريخ •

وكان ثمن البيت الواحد الذي يتقاضاه شاعر النظرية السياسية الف درهم او مائة دينار عباسي اي اكثر من عشرة دنانير عباسية للكلمة الواحدة وهذا ثمن فاحش اذا قيس بمستوى الدعاية واجور صاحب الدعاية في هذا العصر ... واني لا اعتقد ان اكثر كتاب الدعاية رواجاً يصل ما يقبضه من ثمن للكلمة الواحدة اكثر من نصف دينار او دينار في اكثر البلدان تقديراً لادب الدعاية والالتزام الحزبي •

ولا شك ان النشاط الحضاري في هذا العصر بلغ اقصاه واصبح الشعراء اكثر عدداً من ان يحصيتهم كتاب واحد او سفر منفرد مهما بلغ من الضخامة وعدد الاجزاء

النصوص والمراجع

- (١) الاغاني ١٠٦/٩ قال عن الاعشى « هو أول من سأل بشعره وانتجع به اقاصى البلاد وكان يغني بشعره فكانت العرب تسميه صناجة العرب » .
- (٢) الاغاني ٢٩٦/١٧ قال « كان النساء او بعضهن يطلقن الرجال فى الجاهلية وكان طلاقهن انهن ان كن فى بيت من شعر حولن الخباء . . . فاذا رأى ذلك الرجل علم انها قد طلقته فلم يأتها . . . »
- (٣) الاغاني : راجع عن ابن ذبى فى ٩٧/٢٢ وعن الربيع بن ابى الحقيق فى ١٢٢/٣ و ٣٠٢/١٨ وعن السموأل ابن عاديا فى ١٠٨/٢٢ وعن غريض اليهودى فى ١١٠/٣ .
- (٤) الاغاني ٣٦٤/١٤ .
- (٥) الاغاني ٣٩/٢٣ .
- (٦) الاغاني ٣٠١/١٢ .
- (٧) الاغاني ١٤٥/١٧ .
- (٨) الاغاني ٤١٣/٤ قال : « وكان اسماعيل شعوبيا شديد التعصب للعجم وله شعر يفخر فيه بالاعاجم » .
- (٩) الاغاني ٢٨٨/١٦ .
- (١٠) الاغاني ٢٠٨/١٤ .
- (١١) الاغاني ٧٠/١٨ .
- (١٢) الاغاني ٣١/١٢ .
- (١٣) الاغاني ١١٤/١٥ .
- (١٤) الاغاني ٦٤/٥ .
- (١٥) الاغاني ٣١/٢١ .
- (١٦) الاغاني ٢٧ - ١٥/٨ .
- (١٧) الاغاني ٤٨/١١ قال : « شرب يوما فى بيت خمار بالحيرة فجاء شرطى من شرطة الامير ليدخل الباب فغلق الباب دونه فناداه الشرطى : اسقنى نبىذاً وانت آمن فقال : والله ما آمنك . ولكن هذا ثقب فى الباب فاجلس عنده وانا اسقيك منه . ثم وضع له انبوبة من قصب فى الثقب وصب فيه نبىذاً من داخل والشرطى يشرب من خارج الباب حتى سكر » .
- (١٨) الاغاني ٣٦٧/٢٣ قال : « كان لين الشعر ، ماجناً خميراً معاقراً للشراب وقد حذّ فيه مرات وكان يقول شعراً ظريفاً يضحك من اكثره ، شديد التهافت ، جم السخف ، وله اشياء صالحة . وكان هو وحماد الراوية ومطيع ابن اياس يتنادمون ويجمعون على شأنهم لا يفترقون وكلهم كان متهماً بالزندقة . . . كانت له امرأة . . . قد تخلقت بخلقه فى شرب الشراب

والمجون والسفه حتى صارت تدخل الرجال عليها وتجمعهم على الفواحش
ثم حجت في أماره يوسف بن عمر ١٠٠٠!» .

(١٩) الاغانى ٦٦/٢٣ قال : « صرف اكثر ما يكسبه الى النبيذ وكان معاقراً للشرب
في منازل الخمارين وحاناتهم وكان طيب الشعر مليحاً مطبوعاً طبعاً ما جناً . . .
وحرم بعض الامراء بالكوفة بيع الخمر على خمارى الحيرة وركب فكسر نبيذهم
فجاء بكر بن خارجة ليشرب عندهم على عادته فرأى الخمر مصبوبة فى الرحاب
والطرق فبكى طويلاً . . . » .

(٢٠) الاغانى ١٤٣/١٦ قال : « كان الشمردل مغرماً بالشراب وكان له نديمان
يعاشرانه فى حانات الخمارين بخراسان . . . »

(٢١) الاغانى ٣٥٢/١٣ .

(٢٢) الاغانى ٢٣٨/٤ قال : « كان الاحوص يراود وصفاء للوليد خبازين عن
انفسهم ويريدهم ان يفعلوا به فارسله الوليد الى ابن حزم بالمدينة
وامره ان يجلد مائة ويصب على رأسه زيتاً ويقيمه على التبلس ففعل ذلك
به ثم يصيره الى دهلك . . . »

(٢٣) عيون الاخبار لابن قتيبة ١٦/٤ :

قال : « زوج ابراهيم بن النعمان بن بشير يحيى بن ابي حفصة مولى عثمان
بن عفان ابنته على عشرين الف درهم فعيّر فقال :

فما تركت عشرون الفاً لقائل مقالاً فلا تحفل مقالة لائم
فانأك قد زوجت مولى فقد مضت به سنة قبلى وحب الدراهم !

(٢٤) ديوان جرير مركز تحقيق المخطوطات والعلوم الإسلامية

قال ص ١١٣ :

ولم تمسح البيت العتيق اكفها ولكن بقربان الصليب تمسح
يقئن صبايات من الخمر فوقها صهير خنازير السواد المملح

وقال ص ١٩٤ :

حجوا الصليب وقربوا قربانكم وخذوا نصيبكم من الخنزير

وقال ص ٢٦٠ :

الآكلون خبيث الزاد وحدهم والنازلون اذا واراهم الخمر

وقال ص ٢٦٢ :

والمقرعين على الخنزير ميسرهم بنس الجزور وبنس القوم اذ يسروا

(٢٥) الاغانى ١١٨/١٢ :

قال : « كان ابو زبيد نصرانياً وعلى دينه مات . . . ولما صار الوليد بن عقبة
الى الرقة صار ابو زبيد اليه فكان ينادمه وكان يحمل فى كل احد
الى البيعة مع النصارى . . . وان الوليد بن ابي معنيط اوصى لما احتضر لابي
زبيد بما يصلحه فى فصحه واعياده من الخمر ولحوم الخنازير وما اشبه

ذلك فقال اهله وبنوه لابي زبيد : قد علمت انه لا يحل لنا هذا في ديننا وانما فعله اكراماً لك وتعظيماً لحقك فقدره لنفسك ما شئت ان تعيش وقوم ما اوصى لك حتى نعطيك قيمته ولا تفضحنا وتفضح اباؤنا بهذا واحفظه واحفظنا فيه ففعل ذلك ابو زبيد ذلك وقبله منهم » .

(٢٦) اخبار النساء : ابن قيم الجوزية ص ٤٦/٤٧ .

(٢٧) الاغانى : ١٨/١٨ اخبار يزيد بن مفرغ فى خراسان ومغامراته .

(٢٨) الاغانى ٢٢/٢٧٣ .

(٢٩) الاغانى ١٣/٣٥٢ .

(٣٠) الاغانى ٦/٤ .

(٣١) الاغانى ١٢/٢٠ .

(٣٢) الاغانى ٢٣/١٧٥ وذكر لويس شيخو فى (شعراء النصرانية بعد الاسلام) عدة من شعراء النصرانية من غير العرب الا انه خَبَطَ خَبَطَ عشواء حيث جعل ابا تمام بين شعراء النصرانية والرجل متحمس لدينه فلا يخلو لذلك من عصبية قد تجره الى حماقات علمية .

(٣٣) الاغانى ١٠/٢٤٧ .

(٣٤) الاغانى ٢٠/٣٦١ قال : « اتصل الاغلب بمسلمة بن عبد الملك فاصطنعه واحسن اليه واوصله الى الخلفاء واحدا بعد واحد واستماحهم له فاغذوه ، وكان بعد ذلك قليل الوفاء لهم وانقطع الى بنى هاشم ولقب نفسه شاعر بنى هاشم . فمدح الخلفاء من بنى العباس وهجا بنى امية فاكثر » .

(٣٥) الاغانى ٤/٣٦٩ و ٥/٢٣٤ .

(٣٦) الاغانى ١٧/٢٤٧ قال : « كان ابو عطاء من شعراء بنى امية ومداحهم والمنصبى الهوى اليهم وادرك دولة بنى العباس فلم تكن له نباهة فهجاهم وفى آخر ايام المنصور مات » .

(٣٧) الاغانى ١٩/٢٧٣ قال : « وهو شاعر ظريف ماجن خليع هجاء خبيث » ١٩/٢٨١ عن ابنه يونس : « كان لابي صديق وكان يدعوه ليشرب معه فاذا سكر خلغ عليه قميصه فاذا صبحا من غد بعث اليه فاخذه » .

(٣٨) الاغانى ١٣/٢٧٧ قال : « كان ظريفا خليعا حلو العشرة مليح النادرة ماجنا متهما فى دينه بالزندقة » .

(٣٩) الاغانى ١٤/٣٠٢ قال : « كان خليعا ماجنا متهما فى دينه مرميا بالزندقة » .

(٤٠) الاغانى ٢٠/٢٩٣ قال : « كان جزل الشعر حسن الالفاظ لطيف المعانى وانما اخمله وامات ذكره بعده عن بلاد العرب ومقامه بسجستان وبخراسان وشغفه بالشراب ومعاقرته اياه وفسقه وما كان يتهم به من فساد الدين واستفراغ شعره بصفة الخمرة وهو اول من وصفها من شعراء الاسلام فجعل وصفها وكده وقصده » .

(٤١) الاغانى ٣/٨١ .

(٤٢) الاغانى ١٠/٣١٩ .

(٤٣) الاغانى ١/٧٥ .

- (٤٤) الاغانى ٤١٠/٢١
- (٤٥) الاغانى ٢٩١/١٢
- (٤٦) الاغانى ٣٤٨/٢١
- (٤٧) الاغانى ٣٣٦/٩
- (٤٨) الاغانى ٢٣٤/٢
- (٤٩) الاغانى ٧٥/١٠
- (٥٠) الاغانى ٢٤٩/٢
- (٥١) الاغانى ١١٤/١٦
- (٥٢) الاغانى ١٦٤/١٦
- (٥٣) الاغانى ٣١٧/١٣
- (٥٤) الاغانى ١٧١/١٠
- (٥٥) الاغانى ١٧٢/١٠
- (٥٦) الاغانى ٩١/٢١
- (٥٧) الاغانى ٩١/٢١
- (٥٨) الاغانى ١٨/١٤
- (٥٩) الاغانى ١٠٣/١٨
- (٦٠) الاغانى ٢١١/١٩
- (٦١) الاغانى ٤٣٩/٢٢
- (٦٢) الاغانى ١٨٤/١٤

(٦٣) الاغانى ١٨٦/١٦ « قال مرت بي جنازة ومعى ابني ومع الجنازة امرأة تبكيه
وتقول : بل يذهبون الى بيت لا فراش فيه ولا وطاء ولا ضيافة ولا غطاء ولا
خبز ولا ماء . فقال لى ابني : يا ابت الى بيتنا والله يذهبون بهذه الجنازة .
فقلت : وكيف ويلك ؟ فقال لان هذه صفة بيتنا » .

(٦٤) الاغانى ٨٠/١٠ قال : « كان المهدي يعطى مروان وسلمًا الخاسر عطية واحدة
وكان سلم يأتي باب المهدي على البرذون قيمته عشرة آلاف درهم والسرير
واللجام المقدوزين ولباسه الخزّ والموشى وما اشبه ذلك من الثياب الغالية
الاثمان ورائحة المسك والغالية والطيب تفوح منه ويجيء مروان وعليه فرو
كبش وقميص كرايبس وعمامة كرايبس وخفا كبّل وكساء غليظ منتن
الرائحة وكان لا يأكل اللحم بخلا حتى يقدم اليه فاذا قدم ارسل غلامه
فاشترى له رأسا فاكله ٨٢/١٠ ٠٠٠٠ بلغنى ان مروان بن ابى حفصة قال :
ما فرحت بشيء قط فرحى بمائة الف وهبها لى امير المؤمنين المهدي فوزنتها
فزادت درهما فاشترت به لحما ٠٠٠٠ (و) اشترى مروان لحما بنصف
درهم فلما وضعه فى القدر وكاد ان ينضج دعاه صديق له فردّه على القصاب
بنقصان دائق فشكاه القصاب وجعل ينادى : هذا لحم مروان وظن انه يانف
ذلك . فبلغ الرشيد ذلك فقال : ويلك ما هذا ! قال : اكره الاسراف ! » .

(٦٥) الاغانى ١٨/٤ قال : (اتهمه صديق له بالشح فقال) : « يا ابا معن والله ان
ما قلت لهُو الحق ولكنى اخاف الفقر والحاجة الى الناس فقلت : وبم تزيد حال

من افتقر على حالك وانت دائم الحرص دائم الجمع ، شحيح على نفسك
لا تشتري اللحم الا من عيد الى عيد ؟ فترك جواب كلامي كله ثم قال لي والله
لقد اشتريت فى يوم عاشوراء لحما وتوابلة وما يتبعه بخمسة دراهم ! »
(٦٦) الاغانى ١٤/١٨٤ .

(٦٧) الاغانى ٢٣/٧٥ قال : « كان صالح الشعر مطبوعا يقول الشعر المستوي وهو
غلام الى ان ولى المتوكل الخلافة فترك الجد وعدل الى الحمق والشهرة به
..... وكسب بالحمق اضعاف ما كسبه كل شاعر كان فى عصره بالجد ونفق
نفاقا عظيما وكسب فى ايام المتوكل مالا جليلا وله فيه اشعار حميدة يمدحه
بها .

(٦٨) الاغانى ٢٢/٥٠ قال : « لما مات المهدي انقطع الى عليّة وكان يقول
لها الاشعار فيما تريده من الامور بينها وبين اخوتها وبين بنى اخيها فتنتحل
بعض ذلك وتترك بعضه وكانت تأمر ان يقول الاشعار فى المعانى التى
تريدها فيقولها وتغنى فيها ٢٢/٥٥ وكان الشطر نجى ينادم ابا عيسى
ابن الرشيد ويقول له الشعر فينتحله ويفعل مثله ذلك باخيه صالح واخته
وكذلك بعليّة عمتهم وكان بنو الرشيد جميعا يزورونه ويأنسونه به . »

(٦٩) الاغانى ١٣/١٤١ قال : « عرف مذهب الرشيد فى الشعر وارادته ان يصل
مدحه اياه بنفى الامامة عن ولد علي بن ابي طالب عليهم السلام
والطعن عليهم وعلم مغزاه فى ذلك مما كان يبلغه من تقديم مروان بن ابي
حفصة وتفضيله اياه على الشعراء فى الجوائز فسلك مذهب مروان فى ذلك
ونحا نحوه ولم يصرح بالهجاء والسبب كما كان يفعل مروان ولكنه حام ولم
يقع واوما ولم يحقق لانه كان يتشيع وكان مروان شديد العداوة لآل ابي
طالب وكان ينطق عن نية قوية يقصد بها طلب الدنيا فلا يبقى ولا يذر . »

(٧٠) الاغانى ٢٣/٢٠ قال : « ان ابان بن عبد الحميد عاتب البرامكة على تركهم
ايصاله الى الرشيد وايصال مديحه اليه فقالوا : وما تريد من ذلك ؟ قال :
اريد ان احظى منه بمثل ما يحظى به مروان بن ابي حفصة فقالوا له :
ان لمروان مذهباً فى هجاء آل ابي طالب وذمهم به يحظى وعليه يعطى فاسلكه
حتى تفعل . قال : لا استحل ذلك قالوا : فما نصنع لا تجيء امور الدنيا
الا بما لا يحل ٢٣/٣٥ قال ابو عبيدة : « لقد اغفل السلطان كل شيء
حين اغفل اخذ الجزية من ابان اللاحقى وهو واهله يهود وهذه منازلهم فيها
اسفار التوراة وليس فيها مصحف ووضح الادلة على يهوديتهم ان اكثرهم
يدعى حفظ التوراة ولا يحفظ من القرآن ما يصل به . »

(٧١) الاغانى ١٠/٧٤ قال : « وكان مروان ابخل الناس على يساره وكثرة ما
اصابه من الخلفاء ولا سيما من بنى العباس فانه كان رسمهم ان يعطوه بكل
بيت يمدحهم به الف درهم . » ١٠/١٠٠ « حدثني صالح بن عطية
الاضجم قال لما قال مروان :

انى يكون وليس ذاك بكائن لبنى البنات وراثه الاعمام
لزمته وعاهدت الله ان اغتاله فاقتله اى وقت امكننى ذلك حتى خلا لى

البيت يوما فوثبت عليه فاخذت بحلقه فما فارقتة حتى مات فخرجت وتركتة»
 (٧٢) جاء في « نور القبس في مختصر المقتبس » ص ١٣٨ •
 قال عنه الرشيد يذكره امام الاصمعي : « الا ترى هذا الدعى بن الدعى •
 اليهودى بن اليهودى عبد بنى حنيفة مروان بن أبى حفصة ٠٠٠ الخ » •
 (٧٣) الاغانى ٢١٦/١٠ قال : « كان ينحو نحو مروان بن ابى حفصة فى هجاء
 آل ابى طالب ٠٠٠٠٠ وسمعه ابو العيناء يوما يطعن على علي ابن ابى طالب
 (ر) فقال له :

انا ادرى لم تطعن على علي امير المؤمنين • فقال له : اتعنى قصة بيعه اهلى
 من مصقلة بن هبيرة ؟ قال لا • انت اوضع من ذلك ولكن لانه قتل الفاعل
 فعل قوم لوط والمفعول به وخُصَّ بالمتوكل حتى صار من جلسائه ثم
 ابغضه لان كان كثير السعاية اليه بئدماثة والذكر لهم بالقبيح عنده واذا خلا
 به عرفه انهم يعيبونه ويشلبونه وينقصونه فيكشف عن ذلك فلا يجد له حقيقة
 فنفاه بعد ان حبسه » •



مركز تحقيقات كالمبيوتر علوم اسلامى